

مجلّة الواحات للبحوث والدراسات
ردمد 7163- 1112 العدد 15 (2011) : 410 - 428
http://elwahat.univ-ghardaia.dz

من الأدوار الحضارية للمدن الصحراوية ورجلان أنموذجا

عمار غرايسة
المركز الجامعي بالوادي

توطئة:

يورد البكري (ت460هـ/1067م) اسم وارجلان بهذه الصفة في مسالكه[1]بينما يذكره الادريسي (ت548هـ/1154م) باسم وارقلان[2]، في حين يسمه أبو يعقوب الوارجلاني ورجلان[3]، في الوقت الي يظهر الاسم لدى ابن سعيد المغربي (ت610هـ/1212م) بصورة واركلان[4]، وهو نفس الاسم الذي يظهر ذكره به من قبله ابن حوقل[5] (ق4هـ/10م)، وليظهر بعد ذلك الحموي في معجم بلدانه (ت 626هـ/1228م) معتمدا تسمية ورجلان[6]. وذات التسمية اعتمدها المؤرخ الدرجيني (ت670هـ/1271م) باضافته ألفا بعد الواو لتصبح وارجلان[7]. وهي على ما يبدو التسمية التي كانت الأكثر تداولا بين عدد من المؤرخين الاباضيين، وعلى وجه التحديد من أمثال أبي زكريا[8] (ت بعد 474هـ/ 1081م) والوسياني[9] (550-600هـ/1155-1203م)، والشماخي[10] (ت928هـ/1522م). وهي كذلك التسمية التي رأيت اعتمادها في ا البحث لاعتقادي أنها الأقرب الى ما قد يكون متصلا بواقع ما كانت عليه خلال أغلب المراحل التاريخية ولكون من كان متداولا بينهم هذا المسمى كانوا الأقرب الى المنطقة بالسكنى أو المخالطة لأهلها.

وبالمقابل من ذلك نجد أن العلامة ابن خلدون (ت808هـ/1405م) قد أورد التسمية ذكرها بأكثر من صفة معتمدا الكاف بديلا عن الجيم، ولعله في ذلك كان مرتبطا في زمنه بطبيعة لفظ الحرف بحسب ربما اللغة الزناتية، حيث أورد المكان باسم واركلا[11]، واركلى[12]، واركلان[13]. في الوقت الذي يعود بنا أبي حمو موسى الزياني (ت971هـ/1536م) الى تسمية ورجلان[14]، في حين سماها الوزان (ت ق 10هـ/16م) باسم وركله[15] وأيا كان مستوى التباين اللفظي، فانني قد أميل الى الرأي القائل بأن «هذه الأسماء كلها واقعة على هذا الوطن قديما وحديثا»[16]

يؤكد الوزان على حقيقة أن وارجلان متقادمة في نشأتها التاريخية، وهي حسبه ربما قد تعود إلى الفترة النوميدية، وان كالن لم يقدم أي شواهد أو اثباتات حول ذلك، لكنه يؤكد على أنها «

مدينة قيمة بناها النوميديون في صحراء نوميديا»[17]. وأنا من خلال ما قد توافر لدي من مصادر ومراجع، لم أجد ما يفيد بشكل واسع حول ما تعلق بنشأة وارجلان الأولى. وكل ما ورد حول ذلك لايعدو أن يكون مجرد اشارات تفيد العموم وتفتقر في عمومها الى التفصيل الذي ربما يكون قد غاب في المجاهل الصحراوية.فصاحب غصن البان لم يفد الا بالتأكيد المجرد على أن وطن وارجلان هو «من الأوطان القديمة». بينما يقدم أمامنا ليثيو اشارة تفيد بمقدم جماعة من الزنجباريين وبنائهم المدينة، ويذكر أن ذلك كان في حدود العام 106هـ/726م، وكانت نسبة المدينة اليهم لسمرة بشرتهم[18]. وعلى الرغم من أهمية مثل هذه الرواية، الا أنها مفتقدة على ما يبدو لما يعطيها قيمتها التاريخية، كونها معقطوعة المصدر وغير متوفرة على الشواهد التي تساعد في القبول بها عدى ما سعى لطرحه من فكرة اعتبار أن الاسم يحمل في ثناياه دليلا على ذلك، حيث أشار الى أن التسمية تعني « أبناء الزنوج أو أبناء السمر»[19]. والى جانبه يذكر غيرستر أن نشأة وارجلان قد ارتبطت بجهد قام ابتداؤه على زراعة بساتين النخيل على يد رجل من السودان بواحة عفران[20]، التي أشار الى أنها تعود في عهدها الأول الى عصر الرومان أو ما قبله[21]. وهو وان لم يقدم أيضا ما يقطع فيه الشك باليقين، الا أن الملاحظ هو تقاطعه مع سابقه في التأكيد على حقيقة حضور العامل الخارجي في تأسيس هذه المدينة، وهو على ما أرى أمر بحاجة الى أهمية الوقوف عنده والتأمل فيه.ويأتي لارجو بنسبة المدينة وأولية نشأتها لامرأة تكون قد سكنت المكان بإقامتها كوخا أحيط بما غرسته حوله من نخيل[22]. ان هذه الروايات بما احتوت عليه ربما قد تقلل من أهمية اعتمادنا لها كأساس لصورة منشأ وارجلان المدينة، وأهم التطورات التاريخية التي ستشهدها. وليس بالمقدور القبول بها أكثر من كونها مجرد احتمالات قد تحمل في طياتها جانبا مما قد «يمكن اعتماده بداية لتلمس عمق الجذور التاريخية لهذه المدينة التي ليس من شك أنها كانت متقادمة في الزمن. ولعل الرأي الصواب ما ذهب اليه دوفيري فيما نقله عنه بوعصبانة، أنه يخشى الخوض في التأريخ القديم لمدينة وارجلان كمدينة صحراوية، واكتفى بالتأكيد على أهميتها باعتبارها هن بين أقدم المدن الصحراوية، وأنه من غير الممكن التدقيق في دراستها[23].

إن وارجلان على ما يبدو من المدن الضاربة في القدم، وهي واحدة من أهم المدن الصحراوية التي لها ارثها التاريخي الموغل في الزمن.

إن النقوشات والآثار الموجودة اليوم بمنطقة الطاسيلي والهقار تؤكد حقيقة عمران المناطق الصحراوية الأمر الذي قد يكون من السهل معه امكانية القبول بوجود شواهد مادية كالمسارح وبعض الأدوات القديمة.

إن حدود المنطقة هي في الأساس حدود بلاد المغرب الأوسط الجنوبية، وهي بلا شك قد مثلت «الجزء الفاصل الواصل بين شمال افريقيا وافريقيا الوسطى والغربية والشرقية»[24]، وهو ما

جعل من المدينة الوارجلانية ملتقى لكثير من الخطوط الفكرية والثقافية والاجتماعية وبالأساس التجارية، وما اتصل بكل ذلك.

في تحديدنا للإطار المكاني، يطالعنا صاحب معجم البلدان بما اعتبره أنه «كورة بين افريقية وبلاد الجريد ضاربة في البر»[25] ويبدو أنه مع عدم الدقة في التحديد، لكنه يمكن أن يفهم منه أن مقصده قد يعني احتمال وقوع وارجلان على ذات الامتداد المقابل لما بين افريقية وبلاد الجريد. ولعل الخط الذي رسمه الزهري (ت أواسط ق 6ھ / 12م)، يعطي صورة عن الحد الشمالي لبلاد السودان مما هو موالي لبلاد المغرب، حيث يمتد هذا الخط من مدينة نول في الجهات الغربية الى مدينة وارجلان في الجهة الشرقية[26].

كما أن سلوك الطريق من تادمكة الى القيروان لابد له أن يمر بقسطيلية بعد اجتيازه وارجلان[27]، وبمقابل ذلك ينطلق من واحة الجريد طريقيا تجاريا «غالبا ما تمر قوافله بورقلة وسوف وغدامس»[28]. وفي قصة جغراف (الأسطورية على ما يبدو) ما يذكر عن خروج أهل درجين من قنطراف نحو أسوف[29]. وهو ما قد يحملنا على اعتبار أسوف وغدامس حدا شرقيا لوارجلان. وفي نزول بنو ريغة الزناتيين« مل بين قصور الزاب ووراكلا»[30]، واختطاطهم قصورا على مجرى الواد النحدر فيه من الشرق الى الغرب ونسبة المكان اليهم[31]، ما يفيد بأن منطقة أريغ تمثل الحد الشمالي لوارجلان. وبمحاولة الجمع بين نصين لابن خلدون قد نرسم الحد الغربي للمنطقة، حيث أشار الى أنه«وفي قبلة تاهرت القصور أيضا متتالية... أقرب ما اليها جبل راشد»[32]، وبربط هذا الجبل في النص التالي ببلاد الزاب ويحدد معه لقواط بنواحي الصحراء، اذ يذكر أن «ما بين الزاب وجبل راشد... وبينهم الدوسن أقصى عمل الزاب مرحلتان»[33].

بقي أمامنا حدود وارجلان الجنوبية التني هي من دون شك المسالك الرئيسة لحركة القوافل التجارية نحو بلاد السودان والمتمثلة فيما أشار اليه ابن خلدون من قصور توات وتمنطيت وركان وتسابيت وتيكورارين[34].

إن وارجلان من خلال ما ذكر تبدو وكأن الطبيعة هيأتها لتكون ذات حيوية على أكثر من صعيد وفي أكثر من مجال، مما اكتسبته من مساحة مترامية الأطراف ساعدتها على أن تلعب عديد الأدوار ولتكون واحدة من أهم الحواضر الصحراوية بالمغرب الأوسط. وصف ابن خلدون وارجلان باشارته لتوسعها العمراني الذي هو علامة التطور الحاصل كنتاج لواقع ما استحدث فيها من حركية شاملة جعلت منها«بلد مستبحر العمران»[35]، وهي مقابل ذلك ذكرت على أنها «سبع مدائن مسورة حصينة بعضها قريب من بعض»[36]، ووصف عمرانها بالحسن والروعة لمبلغ ما وصلت اليه العمارة وفنونها . اذ أشار المدني الى أن قصورها كانت من أروع القصور البربرية بالجنوب[37].

وفي أثناء حديثه عن وركله، أشار الوزان عطفا على ما سبقت الاشارة اليه من الصلة

بالنوميديين، أن المدينة كانت مسورة بسور من الآجر النيئ الذي ضم بين جنباته دورا وصفت بالجمال الذي ازداد بهاءا بما أحاطه من النخل الباسقات[38]،ولعله في ذلك يحاكي ما أشار اليه الحميري قي روضه من أن وارجلان كانت وقتذاك «بلد خصيب كثير النخل والبساتين وفيه مدائن مسورة حصينة بعضها قريب من بعض»[39]

إن من شأن مثل هاته الاشارات أن تحمل في طياتها دلالات واضحة المعالم تؤكد لنا جانبا من الازدهار العمراني الذي يظهر من خلاله براعة أهل وارجلان على مستواهم وقتذاك في تطويق مقار سكناهم بالأجنة والبساتين بما يضفي عليها السمة الجمالية لما ينبعث منها من نغم يعزف أرق الألحان وأعذبها. كما أن هذا الوصف يجعل من وارجلان شبيهة بغيرها من المدن التي كانت تسور نفسها تأمينا وحماية وتأكيدا لمبلغ السيادة الذي تفرضه على مستوى مجال نفوذها. كانت بوارجلان أنشطة عدة زراعية وصناعية وحرفية متواضعة في عمومها الا أن الحركة التجارية كانت الأكثر انتعاشا، مما أوجد وضعا اجتماعيا واقتصاديا يمكن وصفه بالحيوية والنشاط بما يجعل منها قبلة لتوافد قوافل التجار الأجانب الأغراب عن البلد[40]، واللذين كان وجودهم عاملا للتساؤل حول مدلى حضور عوامل الاستقطاب والاستقرار الاجتماعيين، ليس أقلها حركية النشاط وملائمة عوامل الاستقرار خاصة في ظل ما أشير اليه من وجود الفنادق التي يبدو أنها كانت من الكثرة بما جعل صاحب فندق فاطمة يخاطب الشيخ أبي سليمان بن بن داود ومن معه باستغرابه في قصدهم له رغم كثرة فنادق وارجلان[41].كما عرفت المدينة بكثرة مساجدها وتعددها وتوزعها بين المصليات والجوامع كالمسجد الجامع الموصوف بالكبير[42]. ومن غير المقبول القول بأكثر من الامتداد الجغرافي الى جانب القوة الديموغرافية البادية من خلال ما قد ذكر وتمت الاشارة اليه.

إن وارجلان على ما ذكر كانت على مسار الطريق الفاصل الواصل بين بلاد المغرب وبلاد السودان، وهو ما جعل منها بمثابة همزة الربط الاقتصادي وربما حتى الاقتصادي والثقافي والاجتماعي بين جملة المناطق المذكورة. وهي بذلك تؤشر الى مستوى ما تكون عليه المدن المزدهرة التي غالبا ما تمتاز بملائمة موقعها للنشاط التجاري[43].

ولعل بن خلدون حينما اشار الى استبحار عمران وارجلان انما كان يستشعر واقع الأهمية الجغرافية لموقع البلد ومدى تأثيره على حركية النشاط التجاري الذي كان متميزا بين ما هو داخلي وبين ما كان خارجيا.

التجارة الداخلية: كانت وارجلان من المراكز الحضارية القديمة الواقعة على الحواف الشمالية لصحراء المغرب الأوسط، إذ ارتبطت نشأة المدن فيها بما امتد منها والتقى بها من خطوط المواصلات خاصة منذ منتصف القرن الثامن الذي توسعت من بعده[44]. ومن الطبيعي أن يكون هذا التوسع المديني متبوعا بحركة من النمو الديموغرافي الذي سيكون صاحب الاسهام في

الازدهار الاقتصادي المرتبط في جانب كبير منه بالحركة التجارية التي شكلت وارجلان ميناءا صحراويا[45]. تتجمّع فيها مختلف السلع والمنتجات، مجسدة مبلغ الازدهار كمركز تجاري حققته بفضل ما تمتعت به «من الأمن النسبي الذي تفرضه أهميتها التجارية وانعزال موقعها مع قوة أهلها واتساع العمران حولها»[46]. وهو ما سمح لها أن تلعب دور المحرك للنشاط التجاري ومنطقة العبور لدخول «العبيد إلى المغرب الأوسط وإفريقية، والسفر منها في الصحراء إلى بلاد السودان كثيرا»[47]. ولربما كانت هذه الوضعية قد جعلت من المنطقة جزءا من الصراع السياسي الدائرة رحاه زمن قيام الدولة الفاطمية (297-567هـ/910-1171م) حول «المراكز التجارية النشطة الواقعة على المسالك الكبرى ولاسيما المسالك الرابطة بين الواجهتين الصحراوية والبحرية»[48]. وهو ما يفيد باحتمال اعتبار أن وارجلان ربما كانت تشكل وحدة مستقلة بكيانها الذي جعل منها هدفها لحرص الفواطم على نفس حال سلجماسة.النّشاط التجاري لم يكن بمعزل عن الحركة القبليّة السائدة، وما اتصل بها من توازنات فرضت محدّدات الحاكمية فيه. احتكر بدو المغرب القديم التجارة «بحكم معرفتهم بالطرق والمسالك ومراكز العمران أقدر من غيرهم على نقل البضائع ومبادلتها بين الصحراء والتل»[49]. إلا أن ظهور الهلاليّين وتغلبهم على طرق القوافل وسيطرتهم المطلقة عليها كان وراء توسعتهم نطاق التجارة البينيّة التلية الصحراوية[50]،هذه التجارة كانت تقوم على نوع من التبادل الذي من خلاله كان التجار «يحملون إلى وركلة منتجات بلاد البربر ويستبدلونها بما يأتي به التجار من بلاد السودان»[51]، وليست المواد المجلوبة من الشمال مرتبطة به، بل إن منها ماهو مستقدم من أوربا عبر قوارب تجار الساحل من المغاربة[52]. وعند وصول هاته التجارة لوارجلان تكون تحت تصرف عدد من التجار « منهم من هم من سكان ورقلة الأصليين»[53]، و«منهم عدد كبير من التجار الأجانب الغرباء عن البلدة»[54]. وسيكون طبيعيا الإشارة إلى أن هاته السلع ستودع المحلات أو المخازن، أو تصرف للاستهلاك المحلي من خلال ما كان موجودا من الحوانيت كالتي كان يتجر فيها أبي معروف ويدرن بن جواد[55]. وهي السلع التي كانت وارجلان بحاجة إليها وتجلب من المناطق ذات الارتباط بها بحكم التقارب الجغرافي أو المذهبي أو الحاجة الاقتصادية المتبادلة.

فمدينة بادس اشتهرت تاريخيا من خلال معاصرها ومطاحنها بكثرة زيتونها وزيته الذي يسهل انسيابه نحو المنطقة[56]. ولما كانت تاهرت بلد « رشيق الأسواق»[57]، مشتملة على « ضروب الغلاّت»[58]، فإنها ستشكّل مصدرا مهما للتبادل التجاري الداخلي على الأقل من باب توثيق الروابط المذهبية القائمة وقتذاك. كما لم تكن قلعة بني حماد، بفضل ما امتازت به من موقع حاز أهميته التجارية بمعزل عن هذا الحراك الاقتصادي، إذ أن الشب المشار إلى وجوده على الطريق من وارجلان إلى غدامس[59]، كان يصل إلى بني حماد بقلعتهم التي أوجدت له بها مكانا عرف به ونسب لمصدره، حيث ذكر أبو محمد عبد الله اللواتي (ت 528هـ/1133م) أنه كان

على سفر إلى القلعة فرآه «رجل منهم في موقف الشب وهو مكان معروف بأهل وارجلان. فقال لي وارجلاني والله»[60]، ولا يبدو ذلك مستبعدا في ظل المعرفة أن بجاية «بها القوافل منحطة والأمتعة إليها برا وبحرا مجلوبة والبضائع بها نافقة وأهلها مياسير تجار.. وأهلها يجالسون تجار المغرب الأقصى وتجار الصحراء»[61].كما أشير إلى وثوق الصلات التجارية مع قسنطينة التي يبدو أن نشاط مبادلاتها مع وارجلان كان يستحق الإشارة إليه[62]. وفي الجهة الغربية شكلت تلمسان معبرا مهما بموقعها «في أول الصحراء... على الطريق إلى سجلماسة ووواركلان وغيرها من بلاد الصحراء»[63].

الأسواق وتعاملاتها: برغم ما تمثله الأسواق من أهمية اقتصادية كونها نقطة تصريف وتأمين المنتجات ومختلف الاحتياجات، إلا أنها لم تحض بحسب ما هو متوفر من مصادر بالعناية اللازمة. إذ لم تفد الروايات الواردة بأي تفاصيل يمكن الوقوف من خلالها على ما يتصل بأسواق وارجلان من حيث طبيعتها وكيفية سيرها، وأهم تقاسيمها، وما إذا كانت خاضعة للاحتكارات الفردية أو الجماعية.

بحسب ما أفاد به ليثيو (**Lethelleux**)، فإن سكان وارجلان كانت لهم أولوية والأحقية في إدارة التجارة بوارجلان[64]، ربما بفضل ما كانوا يتمتعون به من خبرة في التعاطي مع الممارسة التجارية خاصة في ظل العلاقات التجارية المميزة القائمة على كون وارجلان بوابة رئيسية للتجارة مع بلاد السودان[65] لكن قوة هذا النشاط التجاري سمح بوجود عناصر خارجية خاصة التجار الوافدين من قسنطينة[66]، والذين ربما شكلوا أحد أهم حلقات التواصل والحراك التجاري على مستوى وارجلان وعلاقاتها خاصة مع الجهات الشمالية مكن بلاد المغرب الإسلامي الأوسط.

إن وارجلان وبحكم اعتبارها نقطة وصل بين بلاد السودان وعدد من مختلف الجهات، فإنها ستكون محط رحال القوافل الوافدة من كل جهة كما أشار لذلك كلا من الوزان وكربخال[67] ما يؤكد حتمية وجود مخازن لإيداع السلع قبل تصريفها لتأخذ مسالكها، ولابد أن يكون جزءا مهما منها قد وزع على مستوى وارجلان التي لابد أن تكون قد اشتملت على نقاط بيع الحوانيت التي أشار الوسياني إلى وجودها[68]. ومن المنطقي، وبحكم الطبيعة الصحراوية، وما كانت عليه المسالك والمسافات المقطوعة خلالها، فقد تكون هاته الأسواق متباينة بين اليومي منها، الموجهة للتسوق المحلي، وبين تلك الموجهة للتسوق الخارجي، سواء الحواضر، أو الجهات ذات الصلة بأسواق وارجلان، ولا شك أن هاته الأسواق ستكون ذات طابع أسبوعي. إن وارجلان بما امتازت به من وجود «قبائل أغنياء وتجار يتجولون في بلاد السودان»[69] إنّ تجار وارجلان المتجوّلين في بلاد السودان كان لهم الدور الكبير في تأكيد قوّة وارجلان الاقتصادية واستقلالها المالي، حيث كانوا «يجلبون التبر ويضربونه في بلادهم»[70]، ويوضح ذلك ويؤكد أن ما يضرب «ببلد واركلان

دنانير على نوع المرابطية وهي مشهورة»[71]، وذات الحقيقة يؤكدها صاحب كتاب الإستبصار بأن ما يضرب « ببلد وارجلان دنانير على نوع المرابطية لكنها نازلة في تحميل كثير، والدنانير الوارجلانية مشهورة»[72]. ومما ذكره موريس لومبارد أن ذهب السودان كان مكدسا بكبرى الحواضر التي من بينها وارجلان، حيث كانت تضرب النقود الذهبية الفضية والنحاسية[73]. ولعل الرأي الذي قد يساعد على القبول بالحقيقة هو أن «مسبكة وارجلان إنما هي رد فعل وتعويض عن الخسارة التي مني بها الاباضية بسقوط تاهرت واضمحلال عملة الرستميين»[74].

الذي يبدو، هو أن العملة المساة بالمرابطية كان لها انتشار واسع، ولا يعلم ما إذا كان أصل مسماها نسبتها للمرابطين، وهو ما قد لا يستبعد بحكم سيطرتهم على المعبر الغربي لتجارة الذهب. وقد كان لهاته العملة المرابطية حضورا على موائد الفقهاء، حيث أورد ذكرها الونشريسي في أمثلة القراض الذي هو أحد أبواب الفقه، التي حدد من بينها « دفع دنانير مرابطية ليجري على أساس القراض»[75]، كما سئل المازريعن الدنانير السفاقسية «هل يجوز بيعها بالمرابطية »[76]. إن من غير القابل للتسليم بحسب ما يبدو، أن تكون وارجلان مجرد جالبة للذهب كالأحمال على الجمال، من دون أن يكون لها منه نصيب تحدد من خلاله معاملاتها التجارية الموصوفة فيها بالقوة والحيوية والنشاط.فالروايات التي تناولت جانبا ممّا اتصل بحركة الأموال، توحي بوجود عملة نقدية متداولة. فالشيخ أبو صالح جنون بن يمريان (ق**4**ه/**10**مخ أبي نوح الذي كان بجواره «أدخل يدك في جيبي..فوجد فيه صرة، وفكها فوجد فيها سبعين دينارا»[77]، وذكرها الدرجيني على أنها كانت «سبعون دينارا ذهبيا»[78]، والشيخ أبا صالح نفسه قد استدان زمن كان بأدرج « عشرة دنانير صرفها فيما لا بد له منه»[79]، كما أشار الوسياني لرجل عمل بوصيّة الشيخ أبي محمد فاشترى من سوق وارجلان« ثلاثة من الجمال بأربعة وعشرون دينارا... وأدخل واحدة منها السوق فبلغ أربعة وعشرون دينارا»[80]. والشيخ أبا عمار عبد الكافي (ت قبل**570**ه/**1174**م)، لمّا كان يستكمل تحصيله العلمي بتونس «كانت تأتيه من بلده في كل عام ألف دينارا»[81]، وليس واضحا إن كانت الإشارة الواردة بخصوص القيمة المعادلة بعد الاستبدال، أم هي العملة القابلة للتداول. ويبدو لي أن هذا الاخير مستبعد أمام ما ذكره أبو الربيع من أن « أبا عبد الله محمد بن بكار الزواغي سلف لأبي محمد ماكسن دنانير في قصطالية وهو يجوز بها ليأخذها في أريغ.. فإذا الدنانير التي أخذها أبو عبد الله لا تجوز في أريغ»[82]. بينما كانت الدنانير متماثلة بين أريغ ووارجلان على ما يبدو لما كان شائعا «وذلك أن يدفع من وارجلان دنانير ليأخذها في أريغ»[83].

الذي يبدو أن المفاضلة بين الدنانير على قدر وزنها من الذهب، وهو ما نجد له أيضا إيضاحا فيما ذكر عن الدنانير المرابطية واستبدالها بالسفاقسية المشار إليها من أن «السكك المشتملة على النقدين فيفرق بأن المعتبر فيها عند الناس الذهب قل أو كثر، ويتبايعون على تسميتها به وهو المقصود وذلك البلد بنقشه وبها تقع المعاوضة. ولوا بصروا تغيرا في النّقص

استرابوه فتبيّن أن المعتبر من السّكّة الحاصل من الذهب. ويقال دنانير بلد كذا»[84]. إن أهل وارجلان لا يستبعد اعتمادهم عملة خاصة بهم، ربما ازداد الأمر تخصيصا بعد سقوط دولة بني رستم (296هـ/908م)، وهم في ذلك ليسوا بدعا. إذ تشير المسكوكات التي عثر عليها إلى أن ثقافة الإباضيّين منذ دولتهم الأولى قامت على اعتمادهم عملة مرتبطة بقدرتهم ربما على التحكم المبكر في الحركة التجارية وعموم النشاط الاقتصادي. فقد وجد دينار ضمن مجموعة نقود إفريقية نسب لأبي الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعا فري (ت144هـ/761م)، وفلس عبد الرحمان بن رستم (160−171هـ/777−787م) معلوم[85]، كما أن مخلد بن كيداد كانت له دنانير خاصة به[86].

لكن يبقى مع كل ما تم تأكيده، أن التساؤل القائم لما كانت الدنانير الوارجلانية على مستوى من الشهرة كما وصفت، الم توجد بعض الشواهد الحية الدالة عليها؟.

التجارة الخارجية:

الواقع العام: بحكم التواصل الجغرافي وتبادل المنافع، كانت تجارة وارجلان الخارجية أكثر نشاطا مع بلاد السودان التي استأثرت بحركة القوافل أمام محدودية الحركة التي شملت أيضا سجلماسة وقصطالية والقيروان وجبل نفوسة ومصر التي كانت المنفذ لبلاد الشرق وأوربا عبر سواحل قلعة بني حماد والأندلس عبر السواحل الغربية المتصلة بالمرية. الفتح الإسلامي كان عاملا مهما في تحريك وتنشيط التجارة مع بلاد السودان التي اندفع نحوها «التجار العرب...وأقاموا علاقات جيدة... ولقد وصلوا السنغال والنيجر كما توغلوا في حوض النيل الأعلى»[87] وكان هذا السودان دعما لبعض جوانب الحضارة الإسلامية لما وفّره من «العاج والأبنوس والرقيق الأسود»[88] وإلى جانب العرب « كان دور التجار البربر واسعا للغاية في هذا المجال»[89].

لقد شكّلت وارجلان المنفذ الرئيس بين التل في المغرب الأوسط وبلاد السودان، وهو ما سيزيد من شأنها لاستقرار التجار المتنقلين بين الجهتين بها. ذكر ابن خلدون« أن هذا البلد لهذا العهد باب لولوج السفر من الزاب إلى المفازة الصحراوية المفضية إلى بلاد السودان، يسكنها التجار الداخلون لها بالبضائع»[90]، وهو ما جعلها «مركزا لشبكة عنكبوت، فمنها تنطلق قوافل نحو الصحراء الكبرى»[91]. وسيكون من الطبيعي أن تنعكس هاته الحركة على الوضع العام خاصة في جوانبه الاجتماعية والحضارية، إذ ضمنت تحوّل المنطقة من الطابع القروي إلى المديني الذي تحقّق معه «انتقال السكان من حياة البداوة والترحال إلى حياة الحضارة والاستقرار»[92]. وهذا التحوّل سيزيد من تأكيد نظرية السيادة التي كانت تتمتع بها وارجلان ما مكّنها من أن تشكل قوة ضاربة في عمق الصحراء سجّلت حضورها خاصة في حضره الاقتصادي كأساس الوجودية. ولم

تكن الحركة التجارية ذات اتجاه واحد، بل كانت ضمن حركة قائمة على التبادل، وهو ما أشار إليه الإدريسي عن أهل مدينة أنكلاس من بلاد كوّار، والذين عرف عنهم، كثرة تجوالهم «فيصلون بلاد ورقلان وسائر أرض المغرب الأقصى»[93]. ومقابل هاته الحركة وجدت «قوافل أخرى كانت تقصد مصر.. مشحنة بالبضائع الأهلية والمجلوبة»[94]، وهذا ما يوحي باتساع دائرة المعاملات التجارية الدالة على قوة النشاط الاقتصادي. فالوصول لمصر كان يقتضي اجتياز افريقية وجبل نفوسة بعد الخروج من أسوف، ولربما اتخذت القوافل مسالكها نحو غدامس. وفي الجهة الغربية، كان الطريق يمتد نحو سلجماسة، حيث ذكر الدر جيني أن الشيخ أبو زكريا وصل «ذات مرة من سلجماسة إلى وارجلان، ثم خرج من وارجلان متوجها إلى جربه..»[95]. وفي هذا المضمار، لم يكن الأندلسيّون ليعزلوا أنفسهم عنه، حيث كانوا «يصدرون للمغرب وغانا وبلاد السودان ما تنتجه الأندلس من مواد زراعية وصناعية»[96]. وقد بلغ هذا النشاط مستوى من القوة ما جعل من المرية تطلق على أحد أبوابها اسم باب السودان[97]، دلالة على حركة ما يدخل من منتجات سودانية كانت وارجلان معبرا لجزء غير يسير منها على ما يبدو. ومن جانب آخر ازدهرت المبادلات التجارية مع عموم أوربا عبر البحر المتوسط، كان فيها الذهب والبحث عنه العامل الأكثر تأثيرا في ذلك. وكان الساحل يمثل نقطة التواصل مع حيوية الحركة بين أوربا وبلاد المغرب من مثل ما حكاه ابن جبير في رحلته من صقلية[98]

حركة التبادل: المبادلات كانت على غاية من النشاط بين وارجلان وبلاد السودان التي يمكن وصفها بأنها كانت سوقا تستوعب كل ما يجلب لها، إذ يذكر أن الشيخ أبا صالح جنون بن يمريان كانت له جمالا على ما ذكر بأدراج « فاشترى منها رجل جملا، فسأل الرجل الثمن، فقال له ثمن جملك في تادمكّت، فجهز أبو صالح للسير معه إلى تادمكّت.. فساوم الجمل، فبقي عما رسمه صاحبه شيء يسير.. فلم يبعه فقفل راجعا إلى وارجلان، وما سمعنا بجمل رجع من تادمكّت قط إلى وراجلان غيره»[99]. وهو ما يؤكد أن كل ما يصل السودان يجد طريقه للرواج.

تقوم العلاقة التجارية مع بلاد السودان على أساس المقايضة «فتقايض السلع المودعة على عين المكان.. مقابل منتجات البلاد، التبر وعطر الزباد والعنبر الرمادي والعاج والجلود وجوز الكولا وريش النعام والعبيد، وهي سلع ثمينة تسلكبعد ذلك طريق الشمال»[100]. إن الحاجة هي التي تحكمت في التبادل بين الضفتين «فقد كانت هناك حاصلات في الشمال يحتاجها سكان الجنوب وفي مقدمتها الملح والمنسوجات والحلي، كما كانت هناك حاصلات سودانية يحتاجها سكان الشمال كالذهب والأخشاب وجلود الحيوانات»[101]، ومثل هذه المنتجات محل التبادل كانت تعرف اصطلاحا بالصامت من مثل ما ذكر عن واحد من أهل وارجلان الذي سافر «إلى القبلة فجعل تجارته صامتا»[102].

إن وارجلان بواسطة هذا الموقع، قد استطاعت أن تكتسي أهمية بالغة تظهر لنا من حين لآخر ما يربط بجانب من القوة التي استمدتها المدينة في تأكيدها قدرتها على إدارة شؤونها وتأمين احتياجاتها، بل أن تكون على مستوى من القدرة على لعب أدوار بارزة تتصل بمصدر الحيوية والحركية الاقتصادية لعدد من الكيانات السياسية ذات الصلة بها. فوا رجلان كانت تستقدم مختلف السلع والمنتجات لتنقلها عبر الجمل الذي يعد من سفن الصحراء في كل الاتجاهات، إذ «تنقل صفائح النحاس، وقطع الحديد، وأدوات مصنّعة مثل الإبر، براغي، بذور، فلفل أسود، تمور.. والقوافل التي تمر في الجهة الشرقية للصحراء تحمل الملح من السودان، وتحمل القوافل أنياب الفيلة، جلود الأحمرة الوحشية، الجلود المطرزة»[103]. وقد ضرب التجار الرستميون في ذلك بسهم وافر، ولا شك أن القوافل لم تكن لتصل دون المرور بوارجلان، حيث كانت تحمل بمختلف «المنسوجات الصوفية والقطنية، والكتانية وأواني الزجاج والفخار والخزف ذي البريق المعدني والملح إلى بلاد السودان لندرته عندهم، فيبيعونه هناك بأسعار مرتفعة للغاية»[104].

أما القوافل المشرقية، فتعود «محملة بالتوابل والكافور والحرير » إلى جانب التحف المشرقية والأفاويح والأحجار الكريمة والكتب أيضا.وعلى العموم، فإن تجارة القوافل كانت أرباحها وفيرة والغنى أقرب الأقدار فيها حتى قال بعضهم «تكفي رحلتان أو ثلاث ليستغني التاجر»[105]. ولا تبدو المقايضة الأسلوب الأوحد في المعاملات التجارية، إذ كانت إلى جانبها المعاملات المالية المرتبطة بتحصيل النقد مباشرة في عين المكان.

ولما كانت التجارة العابرة للصحراء بما تنطلي علية من مخاطر وما يصاحبها من مصاعب، وما رافق ذلك من تطوّر «التجارة تطورا كبيرا من القرنيين الثالث والرابع الهجري دافعا للكثيرين للبحث عن وسائل تكفل حماية الأموال الضخمة من الضياع...، ومن هذه الوسائل السفاتج والحوالات والصكوك»[106]. وقد أشار ابن حوقل أنه قد رأى بنفسه «صكا كتب بدين على محمد بن أبي سعدون بأود غشت وشهد عليه العدول باثنين وأربعين ألف دينار»[107]. ولا تبدو هذه الطريقة على مستوى ما هي عليه من التجريد، بل يفترض فيها أن تكون ذات ارتباطات تتصل من دون شك بكتابة هاته الصكوك وطريقة الإشهاد عليها، والاهم من كل ذلك ما يجعلها قابلة للتداول بين البلدان المتنقلة بينها. ثمة أمرا آخر لا يقل أهمية، ويفترض فيه أن يكون ذا أثر في تحديد طبيعة المعاملات التجارية التي كان يمليها نظام القوافل، والتي أشار إليها صاحب نفح الطيب[108]، في تأكيد وجود تواصل بين نقطتي تحرك ووصول القوافل لضبط الاحتياجات وتأمين مستوى الرواج من السلع محل الاتجار، إذ غالبا ما «كان للتجار وكلاء في كافة المناطق وخاصة في المراكز والمدن التجارية الهامة»[109] ولا تبدو وارجلان بعيدة عن هذا السلوك، كونها نقطة مركزية بين عدد من خطوط التجارة المجتازة للحدود القطرية، وليس من شك أن نظام الوكلاء هذا سيكون بحاجة لاعتماد أساليب ووسائل تكون قادرة على ضمان ما هو متأمل فيه منه من

النجاحات والأرباح. ويتصل بهؤلاء الوكلاء نوعين من التجار، المجهز والركاض. فالمجهز هو من «ينصب له الموضع الذي يجهز إليه من يقبض البضائع التي يصدرها إليه ويتولى هذا القابض بيعها وشراء الأعواض عنها»[110]. أما الركاض فهو من «يقوم بالأسفار والتعامل مع البلدان المختلفة بعد أن يكون قد قام بدراسة أحوالها وأوضاعها وعرف كل ما يتعلق بالتجارة فيها معتمدا على ووكلاء مأمونين»[111].

جهود بني رستم: إن الدولة الرستمية، قد وجدت في وارجلان المنفذ الرئيس نحو بلاد السودان، وهو ما زاد في التأثير على مكانة المدينة التجارية، وإحاطتها بمستوى من الرعاية تحفظ كيانها الذي يضمن لها نوعا من القدرة على القيام بمختلف الأدوار التي تضمن استمرارية اعتبارها الرئة الاقتصادية التي عدت فيها وارجلان «من القواعد التجارية للدولة الرستمية»[112]، وهو ما جعل البعض يعتبر أن «الإمارة الرستمية الاباضية من أولى الكيانات السياسية في بلاد المغرب التي أقامت علاقات سياسية واقتصادية مع بلاد السودان»[113] فالإمام أفلح بن الإمام عبد الوهاب «كان له مع أغلب الملوك مودة، ولاسيما ملك (صوصو) أو (كوكو)... وكان أكثر المسافرين لتجارة السودان في ذلك العهد من أهل مدينة (وارجلان) وهوارة»[114]، وهذا ما قد يكون وراء الاعتقاد أن وارجلان كانت الوجه الرستمي الغالب في تلك البلاد السودانية، وهو يؤكد ضرورة الاهتمام بالتجارة المنطلقة من وارجلان والإسهام الرسمي بفاعلية في ذلك، إذ أن ابن الصغير يكون قد أخبرنا باهتمام الأئمة الرستميين بتأمين المسالك وربما توفير بعض مستلزماتها خاصة فيما تعلق بحفر الآبار باعتبار الماء الأكثر ضرورة. وفي ذلك يقول ابن الصغير «واستعملت السبل... إلى جميع البلدان من مشرق ومغرب بالتجارة وضروب الأمتعة.. والناس والتجار من كل الأقطار تاجرو»[115]، وفي إطار توثيق الصلات الرسمية لإمارة بني رستم مع بلاد السودان جاءت وفادة الإمام أفلح برئاسة محمد بن عرفة[116]. ويبدو أن هاته العلاقات قد تطورت لمستوى ترحيب «أئمة بني رستم وعمالهم بتجار السودان، ففتحوا لهم الأسواق وأحسنوا معاملتهم وقدموا إليهم التسهيلات التجارية، فأعفوا بضائعهم من الضرائب والرسوم وعامل حكام السودان الرعايا الرستميين بالمثل»[117]، وقد استمرت هذه الاتصالات حتى ما بعد سقوط الدولة الرستمية (296هـ/908م) «وما رافق ذلك من التجاء أصحاب المذهب إلى وارجلان أين ازداد اتصالهم بتلك الأقاليم وتبادلوا معهم المنافع»[118]

بالوقوف أمام جملة هاته المشاهد والوقائع، يتبادر إلى مخيلتي أن وارجلان أصبحت ربما تشكل كيانا قائما بذاته، امتلكت بفضل التجارة الرائجة مع بلاد السودان عناصر القوة والمنعة، ولربما أصبحت مصدرا للخطر الذي يتهدد الكثير من القوى السياسية الناشئة خاصة بعد سقوط دولة بني رستم. ولعل هذا كان من الدوافع التي أوغرت صدور العبيديين للنيل من وارجلان للحؤول دون أي إمكانية لإعادة إحياء الدولة الرستمية المغيبة سياسيا. ولا شك أن ذلك قد يرتقي

لمستوى القبول باعتبارية وارجلان ككيان له خصوصياته.

• حركة القوافل والسير إلى السودان: امتازت الطريق الواصلة لبلاد السودان تحديدا بكونها مفاوز مقفرة معطشة شديدة الحر والقر وليس لسالكها من المخاطر مفر. فهي عبارة عن «مفاوز وبراري منقطعة قليلة المياه متعذرة المراعي»[119]. اجتاز بن بطوطة بعضا منها، واصفا إياها بشدة الحر[120].

وهذا الحال يفترض ضرورة الملائمة في المسير الذي يحدده ابن حوقل بفصل الشتاء[121]، بينما الإدريسي يجعله زمن الخريف[122]، ورغم ما يظهر بينهما من تقارب، إلا أني قد أميل إلى الرأي الأخير على اعتباره يأتي عقب الصيف الذي قد تعسر معه الحركة إن لم نقل باستحالتها، كما أن فصل الشتاء يعقبه الربيع الذي تشتد معه الرياح، وهو ما يزيد من المصاعب والمتاعب. أما عن نظام حركة القوافل الصحراوية، فهي حسب ابن بطوطة تبدأ بالترحال بعد صلاة العصر، والتسري طوال الليل ومن ثم النزول عند الصباح[123]، وقد جاء هذا على سبيل الإجمال والتعميم. لكن يبدو أن الإدريسي كان أكثر قدرة على تبيين الفواصل الزمنية للحركة أو المسير. حيث ذكر «أنهم يوقرون جمالهم في السحر الأخير ويمشون إلى أن تطلع الشمس.. ويشتد الحر على الأرض، فيحطون أحمالهم ويقيّدون جمالهم ويغرون أمتعتهم ويخيمون.. ويقيمون كذلك إلى أول وقت العصر وحينئذ... يرحلون من هناك ويمشون بقية يومهم ويصلون المشي إلى العتمة ويغرسون أينما وصلوا ويبيتون بقية الليل إلى أول الفجر ثم يرحلون»[124]. والواضح أن المسافات المقطوعة يوميا طويلة طول مدة السير الذي قد يسرع أو يبطئ بحسب ما هو عليه حال القوافل. وأيا تكن هيئة تحرك القوافل، فإنها ستجد نفسها عرضة لمقاومة العديد من المخاطر التي تعتريها فتذهب بالجمل وما حمل وصاحبيهما. وليس أقل من تلك المخاطر ما اتصل منها بالرياح وما تحدثه من طمس لمعالم الطريق ومحو آثار المسير وتفريق القوافل كلما ازدادت قوتها خاصة بالمناطق المكشوفة وإبطائها الحركة ونقص الخيام التي كانت تنصب وأوقات الراحة، فيحكى لنا ابن حوقل صورة من ذلك لإحدى القوافل إذ «تواترت الرياح على قوافلهم ومفردتهم، فأهلكت غير قافلة»[125]. وإلى جانب ذلك لا يبدو العطش بالأقل خطورة، إذ تعرف تلك المفاوز بأنه« لا يوجد فيها الماء إلا في أماكن معلومة»[126]، ويعرض أمامنا بن بطوطة صورة من خط مسيره ساعة وصوله إلى «تاسرهلا، وهي أحساء ماء تنزل القوافل عليها، ويقيمون ثلاثة أيام، فيستريحون ويصلحون أسقيتهم، ويملئونها بالماء ويخيطون عليها التلاليس خوفا من الريح»[127]، وقد يتصل بمناطق وجود الماء، توفر المراعي، التي تكون مناسبة لعلف الماشية[128] ولعل في هذا المشهد يحقق أصحاب القوافل حالة من الاستمتاع بجمالية المشهد الذي ينساب إلى خلجانهم صباحيات الربيع، فتتراقص أرواحهم طربا، وتنبعث فيها السلوى التي تزيل من على تلك الأجساد المنهكة أتعاب ما انقضى من الطريق لتندفع بشوق وتلهف نحو الأمل المرتقب. يقول تعالى ﴿ولكم فيها

جمال حين تريحون وحين تسرحون﴾[129]. ويضاف لمجموع تلك المخاطر ما كان يحيط بالطرق الصحراوية من أعمال قطاع الطرق المحترفين في استهداف القوافل التجارية للاستحواذ على منقولاتها، أو لأجل ابتزازها وإخضاعها لاشتراطاتهم على امتداد الطريق البعيدة المنأى. بالرغم من كل ذلك كان التجار « يولعون بالدخول إلى بلاد السودان » [130]معتمدهم الجمل لأنه «هو الوحيد الذي يستطيع عبور الصحراء»[131]، لما عرف به من قدرة على الصبر والاحتمال والارتحال. كما كان لحوافر الخيل اثر في تلك الفيافي، إذ يذكر أن أبا نوح سعيد بن يخلف (350–400هـ/961–1009م) كان له أربعون فرسا، وكان يصطفي منها فرسا عتيقا.. وكان يعده للشدائد.. وعليه سافر إلى تادمكّت»[132]. وأمام صعوبة المسالك الصحراوية، كانت القبائل تعتمد في أغلب أحايينها على الأدلاّء لاعتبار بالغ معرفتهم بتلك البراري والقفار، وهاته المعرفة هي علم قائم بذاته «تعرف به أحوال الأمكنة من غير دلالة عليه بالأمارات المحسوسة.. وقيل قد يستعين صاحب هذا العلم بالأنوار السماوية تارة والأرضية أخرى»[133]، وهؤلاء الأدلاء على مستوى من الحذق والدراية لكثرة ترددهم في تلك المجالات، ومن العجائب ذات الصلة بالموضوع التي حكاها ابن بطوطة اكتشافه أن الدليل الذي كان يقودهم في رحلتهم «هوأعور العين الواحدة، مريض الثانية، وهو أعرف الناس بالطريق»[134]. إن المفازة المؤديّة لبلاد السودان مقفرة ومجهلة «لا يهتدي فيها للسبيل ولا يمر الوارد إلا بالدليل الخبير من الملثمين الظواعن بذلك القفر، يستأجره التجار على الدربة بهم فيها بأوفر الشروط»[135]. ما يعني أن الأدلاّء امتهنوا هذا الاختيار واعتمدوه مصدرا للدخل، كون المفاوز «ما بين بلاد المغرب وبلاد السودان.. مجالات الملثمين من صنهاجة»[136] وهم المسيطرون بإحكام على جملة تلك المفازات ولا يمكن العبور من دون التعرج نحوهم والاستعانة به على الأقل حتى من باب تأمين سلامة القوافل، ومع الوصول لبلاد السودان، تظهر الفوارق اللسانية، ولا يعقل أن تكون استدامة التبادل قائمة فقط على المحاورة أوبالا شارة. وأن المعرفة بالسوق وأحوالها تقتضي أن تجري الألسن بين المتعاملين ولتسهيل ذلك ظهر دور التراجمة الذين يبدو أن دورهم لم يكن أقل أهمية عند التجار على اعتبار أن جانبا من العملية التجارية يتحقق بواسطتهم ووساطتهم بين قطبي المبادلة التجارية، وقد كان أغلب هؤلاء التراجمة من صنهاجة الملثّمين بحكم وسطية موقعهم بين أهل المغرب الأوسط وأهل السودان، مما يعني تحكمهم في قطبي الحركة التجارية. إذ يخبرنا ابن خلدون أن سلطان مالي منسا موسى (ت1233م أو1237م) حينما أوفد وفادته للسلطان أبي حسن بتلمسان كان يرافقها «ترجمان من الملثمين المجاورين لممالكهم من صنهاجة»[137]، ونفس الحادثة تكررت مع وفادة سلطان مالي منسا زاطة لسلطان فاس، حيث كان يجري الحديث بين الفريقين «والترجمان يترجم عنهم وهم يصدقونه»[138]. وداخل السودان، وبأحد أعمال مدينة غانا «حدث رجل ثقة ممن دخل تلك المدينة أنه رأى منهن امرأة وقفت على رجل من العرب له لحية عظيمة طويلة،

فتكلمت كلاما لم يفهمه العربي، فسأل الترجمان عن مقالتها فأخبره»[139]، مما يؤكد الحقيقة الدالة على مرافقة التراجمة للداخلين بالتجارة لبلاد السودان ومن خلالهم يتم تصريف شؤونهم وتدار عملياتهم. وقد يتجاوز الملثّمون أدوار الأدلاّء والتراجمة إلى توسيع مصدر الدخل بما يفرض على القوافل العابرة إطارهم الجغرافي كرسم عبور أو ربما حتى كنوع من الحماية على عمل قد لا يعلن عنه، ولعل هذا ما يكون قد قصده ابن حوقل بتأكيده أن لهؤلاء الملثّمين «لوازم على المجتازين عليهم بالتجارة من كل جمل وحمل، ومن الراجعين بالتبر من بلد السودان وبذلك قوام بعض شؤونهم». وهو ما قد يتكرر عند اجتياز القوافل التجارية لأهم المناطق. ولا يعلم في هذا العلاقة الجبائية مع الدولة الفاطمية كونها السلطة القائمة التي تجتاز القوافل الوارجلانية المتجهة شمالا أو شرقا نطاق سيطرتها.

الذي أفادنا به ابن حوقل، أن المعتز كان يفرض على سلجماسة الجباية التي «يجتبيها من قوافل خارجة إلى بلد السودان.. على ما يباع بها ويشترى إلى ما يخرج عنها ويدخلها»[140]. لكن رغم عدم توفر ما يثبت على وارجلان الجباية أو ينفيها، إلا أن الاعتقاد الافتراضي أن الدولة الفاطمية لا تبدو مستغنية عن المزيد من المداخيل خاصة وأن مشروعها كان قائما على التحول نحو القاهرة، كما لا يمكن التسليم بأن الخلفاء الفواطم لم يكن ليساورهم الأمل كما سيطروا على سلجماسة أن يلحقوا بها وارجلان المنفذ الشرقي للبوابة المغربية نحو السودان مصدر التبر والعبيد. إن الجمل باعتباره الوسيلة الأولى الأكثر اعتمادا في حركة التنقل عبر المفازات الصحراوية، ورغم ما يمتاز به من قدرة على المسير، إلا أنه يحتاج لقطع الصحراء لشهرين أو ثلاثة[141]، أما حسب ليثيو (lethielleux) فإن القوافل تستغرق خلال تحركها، من «ثلاثة إلى أربعة أشهر على الأقل، وفي الرجوع تستغرق أكثر نظرا للعبيد الذين يرافقونهم»[142].

الخاتمة:

إن ما تمت الاشارة الى تناوله انما تعطينا جانبا من التأكيد على مدى الأهمية والحيوية التي تمتعت بها وارجلان كأحد أهم الحواضر الصحراوية التي استطاعت أن تحقق جانبا كبيرا من الحضور الفعلي المؤكد لحقيقة الاسهام الكبير الذي جسدته المدينة الصحراوية على مدار المراحل التاريخية المختلفة.

الهوامش:

[1] البكري: المسالك، ج2، ص260.

[2] الادريسي: نزهة المشتاق، ص222

[3] الجيلالي: تاريخ، ص163.

[4] ابن سعيد: الجغرافيا، ص126.
[5] ابن حوقل: صورة الأرض، ص86.
[6] ياقوت الحموي: معجم البلدان، ص427.
[7] أبو العباس الدرجيني: كتاب طبقات مشائخ المغرب، ج2، ص125.
[8] الشماخي: السير، ص14.
[9] الوسياني: مجموعة سير، مج4، ص265.
[10] أبو زكريا: سير المشائخ، ص80.
[11] ابن خلدون: تاريخ، ج7،ص165.
[12] نفسه.
[13] نفسه.
[14] الوسياني: المصدر السابق
[15] ،الوزان: وصف أفريقيا، ج2،ص215.
[16] علي يحي معمر: الاباضية في الجزائر، ج2،ص390.
[17] الوزان،: المصدر السابق، ج2،ص136.أعزام الحاج ابراهيم بن صالح: غصن البان، ورقة3.
[18] **Letheux ouregla cite saharienne, p11.**
[19] بوعصبانه: معالم الحضارة الاسلامية، ص11.
[20] غيرست: الصحراء الكبرى،ص198.
[21] **Largeau v le sahara algerienne;p156.**
[22] بوعصبانه: المرجع السابق، ص11
[23] عبد الكريم غلاب: قراءة جديدة في تاريخ المغرب، ص28.
[24] الحموي: المصدر السابق، ج5،ص 427.
[25] محمد بن عميرة: دور زناته، ص61.
[26] مجهول: الاستبصار، ص224.
[27] زبادية عبد القادر: الحضارة العربية والتأثير الأوربي في فريقيا الغربية، ص19.
[28] أبو زكريا: المصدر السابق،ص377.
[29] بن خلدون: المصدر السابق، ج7،صص57.
[30] نفسه، ج6،ص57.
[31] نفسه، ج6،ص117.
[32] نفسه، ج1، ص58.
[33] نفسه، ج6،ص120.
[34] نفسه، ج6،ص78.
[35] الحميري: المصدر السابق،ص600.
[36] توفيق المجدني: تاريخ، ص244.
[37] الوزان: المصجر السابق، ج2،ص136.

[38] الحميري: المصدر السابق، ص600.
[39] الوزان: المصدر السابق، ج2،ص136.
[40] الوزان: المصدر السابق، ج2، ص136.
[41] الوسيانمي: مجموعة سير، مج 3، ص537.
[42] أبو زكريا: المصدر السابق، 346.
[43] لومبارد: الاسلام في شمال أفريقيا، ص198.
[44] موريس لومبارد: المرجع السابق، ص89.
[45] روبير برونشفيك: المرجع السابق، ج2، ص150
[46] النامي: (ملامح...)، المرحع السابق، ص100.
[47] ابن سعيد : المصدر السابق، ص126.
[48] الجنحاني: المرجع السابق، ص76.
[49] شنيتي: (التوسع الروماني ....)، ص10.
[50] الميلي: المرجع السابق، ص560.
[51] الوزان: المرجع السابق، ج2، ص136.
[52] Lethelleux op, p168.
[53] Letheux ibid , p 68
[54] الوزان: المرجع السابق، ج2، ص136.
[55] الوسياني: مجموعة سير، مج 2، ص 203.
[56] بلغراد: (الحركة الاباضية . ...)، ص19
[57] المقدسي: المصدر السابق، 185.
[58] ابن حوقل: المصدر السابق، ص 86
[59] مؤلف مجهول: الاستبصار، ص255.
[60] الدرجيني: المصدر السايق، ج2، ص472.
[61] الادريسي: المصدر السابق،ج1، ص260.
[62] الوزان: المصدر السابق، ج2، ص136.، كاربخال: المرجع السابق، ج3، ص166.
[63] الحيري: المصدر السابق، ص155.
[64] Letheux ip.cit, p168.
[65] ابن سعيد: المصدر السابق، ص126.
[66] الوزان: المرجع السابق، ج2، ص126.، كاربخال: المرجع السابق، ج3، ص166.
[67] الوزان: نفسه، ص136. كاربخال: نفسه،ص166.
[68] الوسياني: المصدر السابق، مج2، ص203.
[69] المقريزي: المصدر السابق،ص73.
[70] نفسه، ص73.
[71] الحميري: المصدر السابق، ص600.

72 مؤلف مجهول: الاستبصار، ص244.
73 لومبارد: المرجع السابق، ص176.
74 بحاز: المرجع السابق، ص185.
75 محمد زنير: المغرب في العصر الوسيط، ص394.
76 المازوني: المصدر السابق، ج3، ص281.
77 أبو زكريا: المصدر السابق، 236.
78 الدرجيني، المصدر السابق، ج1، ض144.
79 نفسه، ج2،ص374.
80 الوسياني:المصدر السابق،مج2،ص351،352.
81 الدرجيني: المصدر السابيق، ج2، ص486.
82 الوسياني: المصدر السابق، مج3،ص580.
83 الوسياني: نفسه، ص580.
84 المازوني: المصدر السابق، ج3،ص314.
85 بن قربة:المرجع السابق،ص130.
86 نفسه،ص413.
87 محمود رشيد الفيل(أثر التجارة.....)، ص456.
88 الكروي: المرجع في الحضارة، ص193.
89 شلبي: موسوعة التاريخ الاسلامي، ص202.
90 ابن خلدون: المصدر السابق، ج7،ص62.
91 Letheux ibid, p160.
92 محمود اسماعيل: المرجع السابق، ص289.
93 الادريسي: المصدر السابق، ص99.
94 الطمار: المرجع السابق، ص33.
95 الدرجيني: المصدر السابق، ج2، ص502.
96 فيلالي: العلاقات، ص104.
97 أبو الفضل: سابق، ص149.
98 ابن جبير: الرحلة، ص297.
99 الوسياني: سير المشائخ، ص30. الدرجيني: المصدر السابق، ج2، ص375.
100 مارسي: المرجع السابق، ص98.
101 شلبي: المرجع السابق، ص203
102 الوسياني: مجموعة سير، مج2، ص263.
103 ليثيو: المرجع السابق، ص166.
104 عبد العزيز سالم: المرجع السابق،ج2، ص573.
105 مارسي: المرجع السابق، ص38.

[106] زيود: حالة بلاد الشام، ص**443**.
[107] ابن حوقل، المصدر السابق، ص**65**.
[108] أحمد المقري: نفح الطيب، ج**3**، ص**65**.
[109] زيود: المرجع السابق، ص**444**.
[110] الدمشقي: المصدر السابق، ص**67**.
[111] زيود: المرجع السابق، ص**445**.
[112] الطمار: المرجع السابق، ص**97**.
[113] الشيخلي: (ملاحظات حول انتشار الاسلام ....)، ص**21**.
[114] الباروني: الأزهار، ص **234**.
[115] نفسه، ص**234**.
[116] ابن الصغير: تاريخ، ص**31**.
[117] محمود اسماعيل: المرجع السابق، ص**282**.
[118] مجموعة مؤلفين: تاريخ أفريقيا العام، ج**4**، ص**218**.
[119] ابن حوقل: المصدر السابق، ص**100**.
[120] ابن بطوطه: الرحلة، ص**369**.
[121] ابن حوقل: المصدر السابق، ص**100**.
[122] الادريسي: المصدر السابق، ص**88**.
[123] ابن بطوطه: المصدر السابق، ص**369**.
[124] الادريسي: المصدر السابق، ص**88**.
[125] ابن حوقل: المصدر السابق، ص**65**.
[126] ابن خلدون: المصدر السابق، ج**7**، ص**439**.
[127] ابن بطوطه: المصدر السابق، ص**368**.
[128] نفسه، ص**368**.
[129] النحل، الآية**6**.
[130] ابن خلدون: المصدر السابق، ج**7**، ص**439**.
[131] مجموعة مؤلفين: تاريخ أفريقيا العام، مج **4**، ص**614**.
[132] الدرجيني: المصدر السابق، ج**2**، ص**367**.
[133] أحمد بن مصطفى: المرجع السابق، ص**369**.
[134] ابن بطوطه: المصدر السابق، ص**369**.
[135] ابن خلدون: المصدر السابق، ج**7**، ص**56**.
[136] نفسه، ج**1**، ص**58**.
[137] نفسه، ج**7**،ص**266**.
[138] نفسه، ج**7**،ص**310**.
[139] مؤلف مجهول: الاستبصار، ص**22**.

[140] ابن حوقل: المصدر السابق، ص**97**.
[141] مجموعة مؤلفين: تاريخ، ج**4**،ص**614**.
[142] Litheux op,cit,p163.